خالد بن محمد بن عبد العزيز اليحيا

التذكرة بجملة من
فضائل الأعمال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، وصلى الله على نبينا محمدٍ السراج المنير، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن معرفة فضائل وثواب الأعمال مما ينشط النفس في جميع الأحوال، وفي هذا المرقوم تذكيرٌ بجملةٍ من فضائل الأعمال من ملازمة المسجد، وانتظار الصلاة، ومجالس الذكر، والقرآن والدعوات والأذكار، والمقاصد والنيات وغيرها، مع مراعاة الإيجاز قدْر الإمكان، وقد وضعت لكل فضيلةٍ عنوانًا يوضح مضمونها، وجعلت تخريج الحديث، واسم راويه من الصحابة في الحاشية؛ طلبًا للاختصار.

وأسأل الله الكريم أن يجعل عملنا، خالصًا، نافعًا، مباركًا؛ إن ربنا رحيم ودود[1].

عبادتان عظيمتان وبعظم فضلهما في الزمان والمكان الفاضل

أحدهما: الجلوس في المسجد:

قَالَ النبي ﷺ: (من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نُزُله من الجنة كلما غدا أو راح)[2].

وقال ﷺ: (أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)[3].

وعدَّ ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: (ورجل قلبه معلق في المساجد)[4].

وقال ﷺ: (...فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم صلِّ عليه، اللهم تب عليه، ما لم يؤذِ فيه، ما لم يحدث فيه)[5].

وقال ﷺ: (ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل) وذكر منهم: (ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه، فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجرٍ وغنيمةٍ)[6].

وقَالَ النبي ﷺ: (إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ يَرْعَى الصَّلَاةَ، كَتَبَ لَهُ كَاتِبَاهُ- أَوْ كَاتِبُهُ- بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ يَرْعَى الصَّلَاةَ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى

---

(١) كان البدء بجمعه في رجب ١٤٤٢

(٢)أخرجه البخاري (٦٦٢) ومسلم (٦٦٩) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣)أخرجه مسلم (٦٧١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤)أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٥)أخرجه البخاري (٤٧٧) ومسلم (٦٤٩) عن أبي هريرة ﷺ.

(٦)أخرجه أبو داود (٢٤٩٤) عن أبي أمامة الباهلي ﷺ وصححه ابن حبان (٤٩٩) وابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٣٤٨) وابن حجرٍ في فتح الباري (٦/ ٨).

يَرْجِعَ إِلَيْهِ)[١].

وفي حديث اختصام الملأ الأعلى أن الله تعالى قَالَ: (يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ)[٢].

والثانية: انتظار الصلاة بعد الصلاة:

قال النبي ﷺ: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟) قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)[٣].

وقال النبي ﷺ: (منتظر الصلاة من بعد الصلاة، كفارسٍ اشتد به فرسه في سبيل الله على كَشْحه، تصلي عليه ملائكة الله، ما لم يحدث أو يقوم، وهو في الرباط الأكبر)[٤].

وقال عبد الله بن عمرو: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فرجع من رجع، وعقَّب من عقَّب، فجاء رسول الله ﷺ مسرعًا، قد حَفَزه النَّفَس، وقد حَسَرَ عن ركبتيه، فقال: (أبشروا، هذا ربكم قد فتح بابًا من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضةً، وهم ينتظرون أخرى)[٥].

مجالس الذكر غنيمة عظيمة

من القُرَب الجليلة التي ينبغي أن تكون من السنن اليومية للمسلم حضورُ مجالس الذكر؛ قال النبي ﷺ : (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) الحديث بطوله، وفيه: (فَيَقُولُ الربُّ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. فَيَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)[٦]، وقال ﷺ: (لَا يَقْعُدُ

---

(١)أخرجه أحمد (١٧٤٤٠) عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﷺ، وصححه ابن خزيمة (١٤٩٢) وابن حبان (٢٠٤٥) والحاكم (٧٦٦) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٢٩) وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: «على شرط مسلم» وقال في المهذب في اختصار السنن الكبير (٢/ ٩٤٤): إسناده صالح. وفي طرح التثريب (٢/ ٣٠١): والجمع بينه وبين ما جاء أن الخطوة يكتب بها حسنة أن المراد حسنة مضاعفة. قال السندي: قوله: يَرْعَى الصلاة، أي: يريدها.

(٢)أخرجه الترمذي (٣٢٣٥) عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ هَذَا الحَدِيثِ، فَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣)أخرجه مسلم (٢٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، ومما يدل على عظيم فضل الرباط ما في صحيح مسلم (١٩١٣) عن سلمان، عن النبي ﷺ أنه قال: (رباط يومٍ وليلةٍ خير من صيام شهرٍ وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه، وأَمِن الفتَّان).

(٤)أخرجه أحمد (٨٦٢٥) عن أبي هريرة ﷺ، وقال المنذري: إسناده صالح، الترغيب والترهيب (١/ ١٧٣) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠٨) وقال محققو المسند: إسناده حسن. وقوله: (على كشحه) قال السندي: الكشح: الخصر.

(٥)أخرجه أحمد (٦٧٥٠) وابن ماجه (٨٠١) وقال مغلطاي والعراقي: إسناده صحيح. شرح سنن ابن ماجه (ص ١٣٤٤) طرح التثريب (٢/ ٣٦٦) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠٧).

(٦)أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) عن أبي هريرة ﷺ، وترجم ابن حبان: ذكر البيان بأن من جالس الذاكرين اللهَ يُسعده اللهُ بمجالسته إياهم.

قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[1]، وقَالَ النبي ﷺ: (ليبْعَثن الله أَقْوَامًا يَوْم الْقِيَامَة فِي وُجُوههم النُّور على مَنَابِر اللُّؤْلُؤ يَغْبِطهُمْ النَّاس لَيْسُوا بِأَنْبِيَاء وَلَا شُهَدَاء) فَجَثَا أَعْرَابِي على رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ يَا رَسُول الله حَلِّهِمْ لنا نعرفُهم قَالَ: (هُمْ المتحابُّونَ فِي الله مِنْ قَبائلَ شَتَّى وَبِلادٍ شَتَّى يَجْتَمعُونَ عَلَى ذِكرِ الله يذكرُونَهُ)[2]، وهذه المجالس ينبغي أن تُعمَر بها بيوتنا، وأن نقيمها مع أهلينا، وهي باب من أبواب الإحسان إلى الوالدين والأهل.

مجالس الذكر في المساجد

إذا كان مجلس الذكر في المسجد، فهو أفضل وأعظم أجرًا؛ قال النبي ﷺ: (مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حجَّتُهُ)[3]، وقال ﷺ: (مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ إليه كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ، إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ)[4]، وجاء عن الصحابة ﷺ: «إِنَّ الْمَسَاجِدَ بُيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ لَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْرِمَ مَنْ زَارَهُ فِيهَا»[5].

المجالس إن خلتْ من الذِّكر تحسَّر أصحابها

يتأكد في حق من جلس مجلسًا أن يكون في مجلسه ذكرُ الله تعالى، وصلاةٌ على نبيه ﷺ، وختمٌ بكفارة المجلس؛ قال النبي ﷺ: (ما قعد قوم مقعدًا لا يذكرون فيه الله عز وجل، ويصلون على النبي ﷺ، إلا كان عليهم حسرةً يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب)[6]، وقال ﷺ: (ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله، وصلاةٍ على النبي ﷺ، إلا قاموا عن أنتن جيفةٍ)[7]، وقال أبو سعيدٍ الخدري: «ما جلس قوم مجلسًا لم يصلَّ فيه على النبي ﷺ إلا كانت عليهم حسرة وإن

---

(١)أخرجه مسلم (٢٧٠٠) عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

(٢)أخرجه الطَّبَرَانِيّ، وقال المنذري والهيثمي والألباني: إِسْنَاده حسن. الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٢) مجمع الزوائد (١٠/ ٧٧) جامع المسانيد والسنن (٩/ ٢٨٤) صحيح الترغيب (٣/ ٩٣).

(٣)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٤٧٣) عن أبي أمامة ﷺ. وصححه والحاكم (٣١١) وقال الذهبي: على شرط البخاري، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٦/ ٢٣٩٧): إسناده جيد، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩): إسناده لا بأس به، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٣): رجاله موثقون كلهم، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٠): حسن صحيح.

(٤)أخرجه أحمد (٨٣٥٠) وابن ماجه (٨٠٠) وصححه ابن خزيمة (٣٥٩) وابن حبان (٢٢٧٨) والحاكم (٧٧١) وقال الذهبي في تلخيصه: «على شرطهما» وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٠٢): إسناده صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٧٨).

(٥)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٨٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ، وقال المنذري والعراقي والألباني: إسناده صحيح. الترغيب والترهيب (١/١٣٥) المغني عن حمل الأسفار (ص١٨٠) السلسلة الصحيحة (٣/ ١٥٨).

(٦)أخرجه أحمد (٩٩٦٥) عن أبي هريرة ﷺ، قال ابن القيم: إسناده على شرط الشيخين. جلاء الأفهام (ص ٤٧) وقال الألباني ومحققو المسند: إسناده صحيح. السلسلة الصحيحة (١/ ١٥٨).

(٧)أخرجه الطيالسي (١٨٦٣) عن جابرٍ ﷺ، قال الضياء المقدسي: هذا عندي على شرط مسلمٍ. جلاء الأفهام (ص٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٦٧).

دخلوا الجنة»[١].

ومن الحسن جدًّا في مجالسنا مع الأهل وغيرهم، أن تتضمن قراءة شيءٍ من أحاديث النبي ﷺ من كتاب رياض الصالحين أو غيره، فيستفيد الجالسون ذكرَ الله، والصلاةَ على نبيه ﷺ، ويرتفع- بإذن الله- الذم عن هذه المجالس.

مِن الأَذكَارِ المُضَاعفِ ثوابُها

١. قال النبي ﷺ: (بخٍ بخٍ- وأشار بيده- لَخَمسٌ ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يُتوفى للمرء المسلم فيحتسبه)[٢]، وصح في هذه الكلمات الأربع أحاديث كثيرة فيها الدلالة الظاهرة على عظيم أجرها.

٢. وقال ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)[٣].

٣. وقال ﷺ: (الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن- أو تملأ- ما بين السماوات والأرض)[٤].

٤. وقال ﷺ لجُوَيرية، وقد خرج من عندها بُكرةً حين صلى الصبح: (لقد قلتُ بعدكِ أربع كلماتٍ ثلاث مراتٍ لو وُزِنت بما قلتِ منذ اليومَ لوزنتهُن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، ومِداد كلماته) وفي روايةٍ: (سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زِنَة عرشه، سبحان الله مِداد كلماته) وفي روايةٍ: (سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته)[٥].

٥. وقال ﷺ لأبي أمامة: (ألا أخبرك بأكثر- أو أفضل- من ذكرك الليل مع النهار والنهار مع الليل؟ أن تقول: سبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، وسبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله عدد كل شيءٍ، وسبحان الله ملء كل شيءٍ، وتقول: الحمد لله مثل ذلك)[٦].

---

(١)أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠١٧١) وصححه الألباني في تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص٥٢).

(٢)أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٢٣) وعن أبي سلمى، راعي رسول الله ﷺ، وصححه ابن حبان (٨٣٣) والحاكم (١٨٨٥) والألباني في صحيح الجامع (٢٨١٧).

(٣)أخرجه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤)أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالكٍ الأشعري ﷺ.

(٥)أخرجه مسلم (٢٧٢٦) والرواية الأخيرة عند الترمذي (٣٥٥٥) وقال: حسن صحيح.

(٦)أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٢١) وصححه ابن خزيمة (٧٥٤) وابن حبان (٨٣٠) وحسَّنه ابن حجرٍ في نتائج الأفكار (٨٥/١) وقال الألباني في الصحيحة (١٥٧/٦): إسناد حسن رجاله ثقات. وقال السعد في الدعوات والأذكار (ص٢٦): «حديث محفوظ؛ فقد جاء من طريقين يقوي أحدهما الآخر».

ما تقدم هو من الأذكار المطلقة التي ينبغي الإكثار منها في أي وقتٍ، ولو قِيلت في الصباح والمساء وبعد أذكار الصلاة وعند النوم فلا بأس.

الدعاء جماع الخير

إن الانكسار والانطراح بين يدي الله تعالى من أعظم العبادات وأجلِّ القربات؛ ولأجل ذا صار الدعاء هو العبادة؛ إذْ يتضمن أنواعًا كثيرةً من العبادات، كإسلام الوجه لله تعالى، والرغبة إليه، والاعتماد عليه والتذلل والافتقار إليه، يقول مطرف بن عبد الله بن الشخّير: «تذكرتُ: ما جماع الخير؟ فإذا الخير كثيرٌ الصيام والصلاة، وإذا هو في يد الله، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء»[(١)]، وقال ابن القيم: قد أجمع العارفون على أن كل خيرٍ فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شرٍّ فأصله خِذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يَكِلَك الله إلى نفسك، وأن الخِذلان أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خيرٍ أصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدقُ اللَّجأِ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أَعطى العبدَ هذا المفتاحَ، فقد أراد أن يَفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مُرْتَجًا دونه[(٢)]اهـ.

هذا وإن للدعاء فضائلُ عظيمةٌ كثيرة، **منها**: قُرْبُ الرب سبحانه ممن يدعوه، قال جل اسمه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، **ومنها**: أنه اُخْتِيرَ للحال التي هي أقرب ما يكون العبد من ربه، قال النبي ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء)[(٣)]، فدل على عظيم فضله، والمؤمن يسجد لربه جل وعلا في الصلوات المكتوبات أربعًا وثلاثين سجدةً في اليوم والليلة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك النوافل؟! **ومنها**: أن الله يكرم الداعي بمعيَّته الخاصة، كما في الحديث القدسي: (إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني)[(٤)]، **ومنها**: أنه مع الرجاء سبب لمغفرة الذنوب وإن عظمت، كما في الحديث: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي)[(٥)]، **ومنها**: أن الداعي يعطيه العزيز الوهاب إحدى ثلاثٍ جاءت في قوله ﷺ: (ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحمٍ، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاثٍ: إما أن تُعجَّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها)، فلما سمع الصحابة

---

(١)الزهد لأحمد بن حنبل (ص١٩٥).

(٢)الفوائد (ص٩٧).

(٣)أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٤)أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة ﷺ، واللفظ لمسلمٍ.

(٥)أخرجه الترمذي وقال: «حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وقال ابن رجبٍ في جامع العلوم والحكم (٢/٤٠٠): «إسناده لا بأس به».

ﷺ هذا الفضل قالوا: إذًا نكثر، قال ﷺ: (الله أكثر)[1]. إن عبادةً لها هذه المنزلة لحقيقٌ بالمؤمن أن يكون ملازمًا لها بتضرعٍ وخضوعٍ وانكسارٍ لربه جل وعلا، وألَّا يكون حاله كحال كثيرٍ من الناس لا يعرف هذه العبادة إلا في حال الشدائد! وقد قال النبي ﷺ لابن عباسٍ: (تعرَّف إليه في الرخاء، يعرفك في الشدة)[2]، وقال: (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرَب، فليكثر الدعاء في الرخاء)[3].

متى يتخلف أثر الدعاء؟

قال ابن القيم: الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعفه في نفسه، بأن يكون دعاءً لا يحبه الله؛ لِما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيّته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًّا؛ فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورَين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها[4].

وقال ابن رجبٍ: «ومن أعظم شرائطه: حضور القلب، ورجاء الإجابة من الله تعالى»[5].

دعوات الصباح والمساء

(رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل، وسوء الكِبَر، رب أعوذ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر) (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ) (اللهم إني أسالك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسالك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي) (أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترِف على نفسي سوءًا أو أجرُّه إلى مسلمٍ).

هذه الدعوات المباركات التي نقولها صباحًا ومساءً يُنبَّه بخصوصها إلى أمورٍ:

أحدها: أن من الحسن أن يقدَّم قبلها من أذكار الصباح والمساء ما فيه تسبيحٌ وحمدٌ لله وثناءٌ عليه، ثم يثنَّى بالدعوات؛ لأن من المستحب في الدعاء أن يقدَّم قبله الثناء على الله تعالى.

---

(١)أخرجه أحمد (١١١٣٣) عن أبي سعيدٍ ﷺ، وقال المنذري: أسانيده جيدة. الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٨).

(٢)أخرجه أحمد (٢٨٠٣) وصححه الحاكم (٦٣٠٣) والألباني. صحيح الجامع (١/ ٥٦٩).

(٣)أخرجه الترمذي (٣٣٨٢) عن أبي هريرة ﷺ، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٤)الداء والدواء (ص٩).

(٥)جامع العلوم والحِكم (٢/٤٠٣).

الثاني: أنه يجوز أن يدعو بها المسلم أيَّ وقتٍ، وهي من نفائس الدعاء وأجمعه.

الثالث: يجوز الاقتصار على بعضها، والأفضل والأكملُ الإتيان بها كلِّها.

الرابع: وهو المقصود الأهم، أنها- لِمَنْ تدبرها- من أهم وأجل الدعوات؛ لذا نُدِبْنَا إلى الدعاء بها صباحًا ومساءً، فينبغي الاجتهادُ في فهمِها ومعرفة معانيها، وحضور القلب عند الدعاء بها؛ ففي الحديث: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ)[1]، وهي مما تدخل في كلام ابن القيم وابن رجبٍ المذكور آنفًا.

تقديم الدعاء بالمغفرة على غيره

من الحسن عند الدعاء في أي وقتٍ، وعند الدعوات التي في أذكار الصبح والمساء تقديم سؤال الله المغفرة- كسيد الاستغفار- على غيره؛ فقد جاء في الأدعية المأثورة تقديمُ سؤال الله غفران الذنوب على غيره، كقول سليمان عليه السلام: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} وقولِ موسى عليه السلام: {أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ} وقولِ أولي الألباب: {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} وقول النبي ﷺ: (اللهم اغفر لي ذنبي، ووسّع لي في داري، وبارك لي فيما رزقتني)[2]، ولأن ذلك من باب التخلية قبل التحلية. وفي أوائل كتاب الدعوات من صحيح البخاري ترجم بقوله: باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة. باب التوبة. قال ابن حجر: أشار المصنِّف بإيراد هذين البابين وهما الاستغفار ثم التوبة في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تُسرع إلى من لم يكن متلبسًا بالمعصية، فإذا قدم التوبة والاستغفار قبل الدعاء، كان أَمْكَنَ لإجابته[3].

طوبى لمن وَجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا[4]

قال أبو المنهال: ما جاور عبدٌ في قبره من جارٍ أحبَّ إليه من استغفارٍ كثيرٍ. وقال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم: فالذنوب، وأما دواؤكم: فالاستغفار[5].

وقال ابن تيمية: الاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع، فمن أحسَّ بتقصيرٍ في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلُّبِ قلبٍ، فعليه بالتوحيد والاستغفار، ففيهما الشفاء إذا كانا بصدقٍ وإخلاصٍ. وكذلك إذا وجد العبد تقصيرًا في

---

(١)أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) عن أبي هريرة، وله شاهد عن عبد الله بن عمرٍو، عند أحمد في المسند (٦٦٥٥).

(٢)أخرجه الترمذي (٣٥٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣)فتح الباري (١١/ ١٠٢).

(٤)لفظ حديثٍ أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨) وقال النووي: إسناده جيد، وقال ابن حجرٍ: حديث حسن. الأذكار (ص٤٠٤) الأمالي المطلقة (ص٢٤٩) قال القاري: (طوبى) أي: الحالة الطيبة، والعيشة الراضية، أو الشجرة المشهورة في الجنة العالية. مرقاة المفاتيح (٤/١٦٣٢).

(٥) جامع العلوم والحكم (٢/٤١٥).

حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان، فعليه بالدعاء لهم والاستغفار[١]. وقال أيضًا: «الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه، إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل؛ فإن العابدَ لله والعارف بالله في كل يومٍ، بل في كل ساعةٍ، بل في كل لحظةٍ يزداد علمًا بالله، وبصيرةً في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيرَه في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائمًا في الأقوال والأحوال في الغوائب والمشاهد؛ لِما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرات وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية»[٢].

ويدل على أهمية الاستغفار وعظيم حاجة المؤمن إلى كثرته ما جاء من أخبارٍ في وصف استغفار النبي ﷺ، الذي غفر له ما تقدم ما ذنبه وما تأخر، فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: **(والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً)**[٣]، وقال: **(إنه ليُغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرةٍ)**[٤]، وقال أبو هريرة: ما رأيت أحدًا أكثر أن يقول: **(أستغفر الله وأتوب إليه)** مِن رسول الله ﷺ[٥]، وقال ابن عمر قال: إن كنَّا لَنَعُد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرةٍ، يقول: **(رب اغفر لي، وتب عليَّ، إنك أنت التواب الغفور)**[٦].

ومن استغفاره ﷺ ما أخبرت عائشة أن رسول الله ﷺ كان يكثر من قول: **(سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه)**[٧]، فينبغي الإكثار مما كان ﷺ يكثر منه، وهذا النوع من الاستغفار يجمع التسبيح والتحميد وطلب المغفرة والتوبة، وقد سُئل ﷺ أي الكلام أفضل؟ قال: **(ما اصطفى الله لملائكته– أو لعباده–: سبحان الله وبحمده)**[٨]، قال ابن رجبٍ: «واعلم أنَّ التسبيح والتحميد فيه إثبات صفات الكمال ونفي النقائص والعيوب، والاستغفارُ يتضمنُ وقايةَ شر الذنوب، فذاك حق الله، وهذا حق عبده، ولهذا في خطبة الحاجة: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره»[٩].

---

(١)مجموع الفتاوى (١١/٦٩٨).

(٢)مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩٦).

(٣)أخرجه البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة ﷺ، وترجم عليه: باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة.

(٤)أخرجه مسلم (٢٧٠٢) عن الأغرّ المزني ﷺ.

(٥)أخرجه النسائي السنن الكبرى (١٠٢١٥) وصححه ابن حبان (٩٢٨).

(٦)أخرجه الترمذي (٣٤٣٤) وصححه، وصححه أيضًا أبو نعيمٍ في حلية الأولياء (٥/١٢) والألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٥٦).

(٧)أخرجه مسلم (٤٨٤).

(٨) أخرجه مسلم (٢٧٣١) عن أبي ذرٍّ ﷺ.

(٩) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٥٢٢).

ولو جعل المؤمن لهذه العبادة وقتًا- كالسَّحر أو بعد صلاة الضحى أو بعد أحد الصلوات الخمس؛ لئلا تفوته في يومه- لكان حسنًا، مع بذل الوسع أن يكون بحضور قلبٍ وانكسارٍ، وافتقارٍ إلى مغفرة الله وعفوه، واستحضار عظمة الله جل وعلا.

أوقاتُ إجابة الدعاء من أنفس الأوقات

من أثمن أوقات المسلم أوقاتُ إجابة الدعاء، ومن أبلغها وأجلها الثلثُ الأخير من الليل؛ لقول النبي ﷺ: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)[1]، وفي حديثٍ آخر: (هل من مستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟)[2]. قال ابن بطالٍ: هذا وقت شريف خصّه الله تعالى بالتنزل فيه، وتفضّل على عباده بإجابة من دعا فيه؛ إذ هو وقت خلوةٍ وغفلةٍ واستغراقٍ في النوم واستلذاذٍ به، ومفارقةُ الدَّعَةِ واللذةِ صعبٌ على العِباد، لاسيما لأهل الرفاهية في زمن البرد، ولأهل التعب في زمن قِصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه في غفران ذنوبه، وفَكاك رقبته من النار وسأله التوبة في هذا الوقت الشاق على خلوة نفسه بلذتها ومفارقة دَعَتِها وسكنها، فذلك دليل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه، فضُمنت له الإجابة التي هي مقرونة بالإخلاص وصِدقِ النية في الدعاء؛ إذ لا يَقبل الله دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ[3].

ومن تلكم الأوقات ما بين الأذان والإقامة، فهو وقتٌ ثمينٌ جدًّا، ومن رحمة ربنا تَكرُّره خمس مراتٍ في اليوم والليلة، ومنه ما بعد الأذان الثاني لصلاة الجمعة، وهو موافقٌ لأحد الأقوال في ساعة الإجابة ليوم الجمعة، مع ما فيها من اجتماع الناس للصلاة والذكر والدعاء، فاجتمع حينئذٍ أكثر من مقتضٍ للإجابة، فينبغي الاجتهاد في الدعاء عند سماع الأذان وبعده، والتأمين على دعاء الخطيب، وبعد فراغه قبل الدخول في الصلاة، وفي صلاة الجمعة، قال ابن مسعودٍ: لكل شيءٍ ثمرةٌ وثمرة الصلاة الدعاء[4].

---

(١)أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٢)أخرجه مسلم (٧٥٨) عن أبي سعيدٍ، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٣)في شرح صحيح البخاري (٨٩/١٠)

(٤)أورده ابن عبد البر في التمهيد (١٠/ ٣٠٠).

أفضل ما يُفعل بين الأذان والإقامة

قولُ النبي ﷺ: (بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ) وقولُه: (الدُّعَاءُ لاَ يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ)[١]، فيهما دلالة على أنَّ من أفضل ما يفعل بين الأذان والإقامة هو الصلاة والاجتهاد في الدعاء فيها؛ لأن الدعاء في الصلاة- وخاصةً في السجود- حريٌّ بالإجابة؛ لقول النبي ﷺ: (وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم)[٢].

قراءة القرآن في الصلاة أفضل من القراءة خارجها

مهما أمكن أن تكون قراءة القرآن في صلاةٍ فهو أفضل وأعظم أجرًا؛ لقول النبي ﷺ: «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفَاتٍ عظامٍ سمانٍ؟» قلنا: نعم، قال: «فثلاث آياتٍ يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خيرٌ له من ثلاث خَلِفاتٍ عظامٍ سمانٍ»[٣]، ترجم البيهقي في شعب الإيمان على هذا الحديث بقوله: فصلٌ في استحباب القراءة في الصلاة، وترجم أبو نُعيمٍ وعياضٌ والنووي: باب فضل قراءة القرآن في الصلاة. وقال النووي: اعلم أن أفضل القراءة ما كان في الصلاة[٤]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: قراءة القرآن في الصلاة أفضل منها خارج الصلاة، وما ورد من الفضل لقارئ القرآن يتناول المصلي أعظم مما يتناول غيرُه[٥]اهـ.

وقال أيضًا: أفضل العبادات البدنية الصلاةُ، وفيها القراءة والذكر والدعاء[٦].

وللمصلي نافلةً أن يصلي جالسًا؛ لقول النبي ﷺ: (مَنْ صَلَّى قَائِمًا فَهُوَ أَفْضَلُ، وَمَنْ صَلَّى قَاعِدًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ القَائِمِ)[٧].

كما أن له أن يقرأ من المصحف؛ فقد كانت عائشة يؤمُّها عبدُها ذَكوان من المصحَف[٨].

الصلاة قبل دخول الخطيب يوم الجمعة

أفضل ما يُفعل قبل دخول الخطيب يوم الجمعة الإكثار من صلاة النافلة؛ لقول النبي ﷺ: (من اغتسل، ثم أتى الجمعة، فصلى ما قُدِّر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة

---

(١)أخرجه النسائي في الكبرى (٩٨١٢) عن أنسٍ ﷺ، وصححه ابن خزيمة (٤٢٦) وابن حبان (١٦٩٦) والألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٤١).

(٢)أخرجه مسلم (٤٧٩) عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٣)أخرجه مسلم (٨٠٢) عن أبي هريرة ﷺ. الخلفات: الحوامل من الإبل.

(٤)الأذكار (ص١٠٣).

(٥)مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٨٢).

(٦)مجموع الفتاوى (١/ ١٨٣).

(٧)أخرجه البخاري (١١١٦) عن عمران بن حصين ﷺ.

(٨)علَّقه البخاري (١/ ١٤٠) وأسنده البيهقي (٣٣٦٦) وقال النووي في خلاصة الأحكام (١/ ٥٠٠): إسناده صحيح.

أيامٍ)[١]، وقال ثعلبة بن أبي مالكٍ القرظي: إنهم كانوا في زمان عمر بن الخطاب، يصلون يوم الجمعة، حتى يخرج عمر[٢]، وقال نافعٌ: كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة[٣]، وقال الإمام الشافعي: من شأن الناس التهجير للجمعة والصلاة إلى خروج الإمام[٤]، وقال ابن تيمية: سنة النبي ﷺ فيها الترغيب في الصلاة إذا قدم الرجل المسجد يوم الجمعة من غير توقيتٍ، وهو المأثور عن الصحابة كانوا إذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ما تيسر، فمنهم من يصلي عشر ركعاتٍ، ومنهم من يصلي اثنتي عشرة ركعة، ومنهم من يصلي ثمان ركعات[٥]، وقال ابن القيم: الأَولى لمن جاء إلى الجمعة أن يشتغل بالصلاة حتى يخرج الإمام[٦].

متابعة المؤذن في صلاة النافلة

جوَّز بعض العلماء متابعة المؤذن في صلاة النافلة[٧]؛ لأن هذا يعرض للإنسان كثيرًا، ومتابعة المؤذن لا تعدو أن تكون ذِكرًا لله تعالى. غير أنه لا يقول: الصلاة خير من النوم، ولا الحَيْعَلتين؛ لأنها كخطاب الآدميين، وإنما يجيب بالحوقلة.

عمارةُ أوقات الغفلة بالعبادة

مما يعظم فيه الثواب عمارةُ أوقات الغفلة بالعبادة، ومن ذلك الصلاة ما بين الظهر والعصر؛ قال النبي ﷺ: (فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ)[٨]، وكان ابن عمر يُحيي ما بين الظهر والعصر[٩].

وكذا ما بين المغرب والعشاء؛ قال حذيفة: صليت مع النبي ﷺ المغرب فصلى حتى صلى العشاء[١٠]، وعن أنس بن مالك، في هذه الآية: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، قال: «كانوا

---

(١)أخرجه مسلم (٨٥٧) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢)أخرجه مالك (١/ ١٠٣) وصححه النووي في المجموع (٤/ ٢٢٠) والألباني في تمام المنة (ص ٣٣٩).

(٣)أخرجه أبو داود (١١٢٨) وقال ابن الملقن في تحفة المحتاج (١/ ٣٩٩): إسناده على شرط الصحيح، لا جرم صححه ابن حبان. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤/ ٢٩٠): إسناده صحيح على شرط البخاري، وصححه ابن خزيمة.

(٤)الأم للشافعي (١/ ١٧٥).

(٥)مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٨٩).

(٦)زاد المعاد (١/ ٤٢١).

(٧)وهو مذهب المالكية، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية ولو في الفريضة. شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٢٣٤) روضة الطالبين (١/ ٢٠٣) الإنصاف (٣/ ١٠٨) اختيارات شيخ الإسلام د. عايض الحارثي (٣٢٧/٢) قال في بدائع الصنائع (١/ ١٥٥): «إذا قال المؤذن: الصلاة خير من النوم، لا يعيده السامع، ولكنه يقول: صدقتَ وبررتَ، أو ما يؤجر عليه» وقال السعدي في شرح عمدة الأحكام (ص١٣٥): «والظاهر أن قول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ قياسًا على الحيعلة، أولى؛ لأنه كما قالوا: تثويب؛ أي: رجوع إلى الدعوة إلى الصلاة مرةً بعد الأخرى».

(٨)أخرجه مسلم (٨٣٢).

(٩)أخرجه ابن أبي شيبة (٥٩٣٧) وصححه زكريا الباكستاني. ما صح من آثار الصحابة في الفقه (١/ ٤٢٥).

(١٠)أخرجه الترمذي (٣٧٨١) وقال: حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل. وقال في إرواء الغليل (٢/ ٢٢٣): أخرجه الحاكم، وسكت عليه، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح. قلت: وهو كما قال.

يتيقظون ما بين المغرب والعشاء يصلون»[١]، وقال ابن مفلحٍ: وبين العشاءين مِن قيام الليل، قال أحمد: قيام الليل من المغرب إلى طلوع الفجر[٢].

من أسباب فهم القرآن

مما يعين على فهم القرآن في الصلاة وخارجها: الترسل والترتيل ورفع الصوت والتغني بالقرآن؛ قال حذيفة ﷺ في وصف قراءة النبي ﷺ في صلاة الليل: «يقرأ مُتَرَسِّلًا إذا مَرَّ بآيةٍ فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرَّ بتعوذٍ تعوَّذ»[٣]، وقال رجل لابن عباسٍ: إني رجل سريع القراءة، وربما قرأت القرآن في ليلةٍ مرةً أو مرتين، فقال ابن عباسٍ: «لأن أقرأ سورةً واحدةً أعجبُ إليَّ من أن أفعل مثل الذي تفعل، فإن كنت فاعلًا لا بد، فاقرأه قراءةً تُسمعُ أذنيك ويعيه قلبك»[٤].

إني أحبُّ أن أسمعه من غيري

قال السعدي: مَن لازم على الاستماع والإنصات بحضور قلبٍ حين يُتلى كتاب الله، فإنه ينال خيرًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًّا متجددًا، وهدًى متزايدًا، وبصيرةً في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير[٥]اهـ.

وكان من هدي النبي ﷺ- وهو الذي أُنزل عليه القرآن- أنه يحب استماع القرآن من غيره، ويخرج من بيته أحيانًا ليستمع القرآن من الصحابة، فينبغي للمؤمن أن يجعل له وِرْدًا من استماع القرآن بحضور قلبٍ، ولو ورقةً واحدةً من المصحف.

تعلُّم معاني القرآن هو المقصود بتعلُّم حروفه

إن أضاف المستمع للقرآن قراءةَ تفسير ما استمعه من أحد مختصرات التفسير، أو استمع إلى تفسيرها، كان أفضل، وهو داخل في تعلم القرآن؛ قال شيخ الإسلام: «دخل في معنى قوله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٦] تعليمَ حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان»[٧]، وقال ابن القيم: «وتعلُّمُ القرآن وتعليمُه يتناولُ تعلُّم حروفه وتعليمَها، وتعلُّمَ معانيه وتعليمَها، وهو أشرفُ قِسْمَي تعلُّمه وتعليمه؛ فإنَّ المعنى هو

---

(١)سنن أبي داود (١٣٢١) وقال في إرواء الغليل (٢/ ٢٢٢): إسناده صحيح على شرط الشيخين، كما قال الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الوادعي: صحيحٌ على شرط الشَّيخين. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٦٩).

(٢)الفروع (٢/ ٣٩١).

(٣)أخرجه مسلم (٧٧٢).

(٤)مسائل حرب (١٧٣) السنن الكبرى للبيهقي (٤٧١٥).

(٥)تيسير الكريم الرحمن (ص٣١٤).

(٦)أخرجه البخاري (٥٠٢٧) عَنْ عُثْمَانَ ﷺ.

(٧)مجموع الفتاوى (١٣/٤٠٣)

المقصود، واللفظُ وسيلةٌ إليه، فتعلُّم المعنى وتعليمُه تعلُّمُ الغاية وتعليمُها، وتعلُّمُ اللفظ المجرَّد وتعليمُه تعلُّمُ الوسائل وتعليمُها، وبينهما كما بين الغايات والوسائل»[1].

بر الوالدين عبادةٌ وامتثالٌ لأمر الله

بر الوالدين أحب الأعمال إلى الله بعد الصلاة، فقد سأل ابن مسعودٍ، النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (**الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا**)، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (**ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ**)[2]، وهو من أعظم العبادات الموصلة للجنة؛ قال جَاهِمَةُ السَّلَمِيّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: (**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (**فَالْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا**)[3]، وقال ﷺ: (**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**)[4]، وقَالَ ابْنُ عُمَرَ لرجلٍ: أَتَفْرَقُ النَّارَ، وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، قَالَ: أَحَيٌّ وَالِدُكَ؟ قُلْتُ: عِنْدِي أُمِّي، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الْكَلَامَ، وَأَطْعَمْتَهَا الطَّعَامَ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ[5]، وجاء في الحديث: (**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**)[6]، فطوبى لعبدٍ كان سبَّاقًا مسارعًا في بر والديه ورضاهما.

تنبيه: قال الشيخ عبد الرحمن البراك: على العبد ألا يغفل حين يبر بأبويه أنه يفعل ذلك تعبدًا لله وامتثالًا لأمره سبحانه؛ ليحظى بالأجر ولا يفوته شيء منه؛ فإن كثيرًا من الناس يبر والديه إما بحكم الطبيعة الفطرية أو العادة أو مجاملة بحكم المروءة، وقد أشار الله إلى اعتبار استحضار نية الطاعة وامتثال الأمر واحتساب الأجر في قوله سبحانه: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} بعد قوله تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.

بر الوالدين بعد موتهما

يمتد بر الوالدين بعد وفاتهما؛ فقد قال النبي ﷺ: (**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**)[7]، وقَالَ أحد الصحابة: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ ﷺ: (**نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا،**

---

(١)مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٢).

(٢)أخرجه البخاري (٥٢٧) ومسلم (٨٥).

(٣)أخرجه النسائي (٣١٠٤) وابن ماجه (٢٧٨١).

(٤)أخرجه أحمد (٢٧٥١١) والترمذي (١٩٠٠) عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، وصححه الترمذي وابن حبان (٤٢٥) والحاكم (٢٧٩٩) وأقره الذهبي.

(٥)أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨) وصححه الألباني.

(٦)أخرجه الترمذي (١٨٩٩) مرفوعًا وموقوفًا، وقال: وَهَذَا أَصَحُّ.

(٧) أخرجه مسلم (٢٥٥٢) عن ابن عمر ﷺ.

وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)[1]، وقَالَ النبي ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ)**[2].

ما أعظم فضائل الوضوء!

قال النبي ﷺ: **(مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)**[3]، وقال: **(إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ)**[4]، وقَالَ: **(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ- أَوْ فَيُسْبِغُ- الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ)**[5].

هذه فضائل كبيرةٌ لعبادةٍ عظيمةٍ يؤديها المسلم تأهُّبًا للوقوف بين يدي ربه جل وعلا، قال ابن أبي زيدٍ القيرواني: «ويجب عليه أن يعمل الوضوءَ احتسابًا لله تعالى لما أمره به، يرجو تقبله وثوابه، وتطهيره من الذنوب به، ويُشعِرُ نَفسَه أن ذلك تأهُّبٌ وتنظُّفٌ لمناجاة ربه والوقوف بين يديه لأداء فرائضه، والخضوعِ له بالركوع والسجود، فيعمل على يقينٍ بذلك، وتحفُّظٍ فيه؛ فإن تمام كلِّ عملٍ بحسن النية فيه»[6].

ويُنَبَّه إلى الأمور الآتية:

أحدها: وجوب إيصال الماء إلى جميع أعضاء الوضوء؛ فقد رأى النبي ﷺ رجلًا لم يغسل عقبيه، فقال: (ويلٌ للأعقاب من النار)[7].

الثاني: الاقتصاد في ماء الوضوء والحذر من الإسراف؛ فقد كان النبي ﷺ يكفيه المُدُّ لوضوئه.

---

(١)أخرجه أبو داود (٥١٤٢) وابن ماجه (٣٦٦٤) وفي الفتوحات الربانية (٤/ ١٠٦): قال الحافظ: حديث حسن، ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما. قوله: (الصلاة عليهما) أي: الدعاء ومنه صلاة الجنازة (والاستغفار لهما) أي: طلب المغفرة، وهو تخصيص بعد تعميم (وإنفاذ عهدهما) أي: إمضاء وصيتهما. مرقاة المفاتيح (٧/ ٣٠٩٢).

(٢)أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٠) وقال العراقي (تخريج أحاديث الإحياء ص٣٧٠): إسناده حسن، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٦) موقوفًا. وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٤٢) إسناده جيد، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٩٨/٤): إسناده صحيح رجاله ثقات. وقال ابن كثيرٍ في تفسيره (٤٣٤/٧): إسناده صحيح. قال الطِّيبي في شرح المشكاة (١٨٥٥/٦): (دل الحديث على أن الاستغفار يحط من الذنوب أعظمَها، وأنه يرفع درجة غير المستغفر إلى ما لم يبلغها بعمله، فما ظنك بالعامل المستغفر؟! ولو لم يكن في النكاح فضيلة غير هذا، لكفى به فضلًا).

(٣)أخرجه مسلم (٢٤٥) عَنْ عُثْمَانَ ﷺ.

(٤)أخرجه البخاري (١٣٦) ومسلم (٢٤٦) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

(٥)أخرجه مسلم (٢٣٤).

(٦)الرسالة (ص ١٨).

(٧)أخرجه مسلم (٢٤٢) عن أبي هريرة ﷺ.

الثالث: يسن تجديد الوضوء لكل صلاةٍ؛ لقول النبي ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بِوُضُوءٍ، أَوْ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ بِسِوَاكٍ، وَلَأَخَّرْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ»(١).

الرابع: قَالَ النَّبِي ﷺ لِبِلَالٍ: (**بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟**) قَالَ: مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**بِهَذَا**)(٢)، قال العراقي: فيه استحباب دوام الطهارة، وأنه يستحب الوضوء عقب الحدَث، وإن لم يكن وقت صلاةٍ ولم يُرِد الصلاة، وهو المراد بقوله ﷺ: (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)(٣)، فالظاهر أن المراد منه دوام الوضوء، لا الوضوء الواجب فقط عند الصلاة(٤).

روح الصلاة ولُبُّها

مِن أجلِّ ما ينشده المصلي هو الخشوع، ومما يبعث على هذا المطلوب العظيم تدبُّر ما يأتي:

قال ربنا: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} فجعل أول صفات المفلحين الخشوع في الصلاة، وقال النبي ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)(٥)، وقال ﷺ: (...فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)(٦)، وقَالَ ﷺ: (لَا يَزَالُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ، وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ)(٧)، وقال ﷺ: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ)(٨)، وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ) فذكر منها: (وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ)(٩)، وقَالَ ﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ)(١٠)، وفي الحديث القدسي: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} قَالَ اللهُ تَعَالَى:

---

(١)أخرجه أحمد (٧٥١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وقال المنذري ومحققو المسند: إسناده حسن. الترغيب والترهيب (١/ ٩٨) وقال ابن الملقن في البدر المنير (١/ ٦٩٩): إسناده صحيح. والحديث عندها وعند المجد في المنتقى وفي مجمع الزوائد وبعض نسخ المسند بلفظ: «ومع».

(٢)أَخْرَجَهُ أحمد (٢٢٩٩٦) وصححه الترمذي (٣٦٨٩) وابن حبان (٧٠٨٦).

(٣)أَخْرَجَهُ أحمد (٢٢٤٣٣) وصححه ابن حبان (٨) وابن عبد الهادي وابن حجرٍ. تنقيح التحقيق (٤/ ٢٨٥) فتح الباري (٤/ ١٠٨).

(٤)طرح التثريب (٢/ ٥٩).

(٥)أخرجه مسلم (٢٣٤) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ.

(٦)أخرجه مسلم (٨٣٢) عن عمرو بن عَبَسة ﷺ.

(٧)أخرجه أبو داود (٩٠٩) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، وصححه ابن خزيمة (٤٨٢) والحاكم (٨٦٢) وأقره الذهبي.

(٨)أخرجه ابن ماجه (١٠٢٣) عن حُذَيْفَةَ ﷺ، وقال البُوصِيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٢٤): إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٩)أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) عن الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ ﷺ، وصححه الترمذي وابن خزيمة (٤٨٣) وابن حبان (٦٢٣٣) والحاكم (٨٦٣).

(١٠)أخرجه البخاري (٤١٣) ومسلم (٥٥١) عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ.

أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي...) الحديث، وقال ابن مسعودٍ: «إنك ما دمت في صلاةٍ تقرع باب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يوشك أن يُفتح له»[١]، وقال عبد الله بن المبارك: سألت سفيان الثوري، قلت: الرجل إذا قام إلى الصلاة، أي شيءٍ ينوي بقراءته وصلاته؟ قال: «ينوي أنه يناجي ربه»[٢]، فاستحضار هذه المناجاة والإقبال من الله جل وعلا على المصلي من أهم ما يبعث على الخشوع.

وقال ابن القيم: «للصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أعطيت حقها من التكميل ظاهرًا وباطنًا، فما استُدفعت شرور الدنيا والآخرة، ولا استُجلبت مصالحهما بمثل الصلاة، وسرُّ ذلك أن الصلاة صلةٌ بالله عز وجل، وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل تُفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتُقطع عنه من الشرور أسبابُها، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه عز وجل، والعافيةُ والصحةُ، والغنيمةُ والغنى، والراحةُ والنعيمُ، والأفراحُ والمسرات= كلُّها مُحضَرةٌ لديه، ومُسارعةٌ إليه»[٣].

وقال أيضًا: الصلاة محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه، فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألذ لقلبه ولا أنعم لعيشه منها، إن كان محبًّا، فإنه لا شيء آثر عند المحب ولا أطيب له من خلوته بمحبوبه، ومناجاته له، ومثوله بين يديه، وقد أقبل بقلبه على محبوبه، وكان قبل ذلك معذَّبًا بمقاساة الأغيار ومواصلة الخلق والاشتغال بهم، فإذا قام إلى الصلاة هرب من سوى الله إليه، وآوى عنده واطمأنَّ بذكره، وقرت عينُه بالمثول بين يديه ومناجاته، فلا شيء أهم إليه من الصلاة، كأنه في سجنٍ وغمٍّ حتى تحضر الصلاة فيجد قلبه قد انفسح وانشرح واستراح، كما قال النبي ﷺ لبلالٍ: (يا بلال، أرحنا بالصلاة)[٤]، فالصلاة قرة عيون المحبين، وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم، يحملون هم الفراغ منها إذا دخلوا فيها، فمن كان قرة عينه في الصلاة فلا شيء أحب إليه ولا أنعم عنده منها، ويودّ أن لو قطع عمره بها غير مشتغلٍ بغيرها، وإنما يسلّي نفسه إذا فارقها بأنه سيعود إليها عن قُربٍ، فهو دائمًا يثوب إليها ولا يقضي منها وطرًا[٥].

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة (٨٣٥٥).

(٢)تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٩٩).

(٣)زاد المعاد (٤/ ٣٠٤).

(٤)أخرجه أحمد (٢٣٠٨٨) وأبو داود (٤٩٨٥).

(٥)طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٣٠٧).

الحب في الله والزيارة فيه

قال النبي ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[١]، وقال ﷺ: (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله) وذكر منهم: (ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه)[٢]، وفي الحديث القدسي: (إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)[٣]، وقال ﷺ: (ما تحاب رجلان في الله تعالى إلا كان أفضلُهما أشدُّهما حبًّا لصاحبه)[٤]، وقال ﷺ: (إن رجلًا زار أخًا له في قريةٍ أخرى، فأرصد الله له على مَدْرجتِه، مَلكًا فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[٥]، وعن أبي إدريس الخولاني، أنه قال: «دخلت مسجد دمشق فإذا فتًى شابٌّ برَّاق الثنايا، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيءٍ أسندوا إليه، وصَدَروا عن قوله، فسألتُ عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبلٍ، فلما كان الغد هجَّرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قِبل وجهه، فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك لله، فقال: آللهِ؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله. قال: فأخذ بحُبْوَةِ ردائي فجبذني إليه، وقال: أبشر؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ)[٦]، وقال النبي ﷺ: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان)[٧]، وقال ﷺ: (إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه)[٨]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجلٍ أحبَّ قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال: (المرء مع من أحب)[٩].

هذا وإنه لَيَجمُل بالمسلم أن يخصص لزيارة إخوانه وقتًا في الأسبوع- مثلًا-، وأن ينوي بزيارته لأرحامه الزيارةَ في الله وصلةَ الرحم.

---

(١)أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢)أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣)أخرجه مسلم (٢٥٦٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤)أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٤) عن أنس ﷺ، وصححه ابن حبان (٥٦٦) والحاكم (٧٣٢٣) والألباني، وقال الذهبي في السِّيَر (١٤/ ١٧٣): حسن الإسناد.

(٥)أخرجه مسلم (٢٥٦٧) عن أبي هريرة ﷺ.

(٦)أخرجه مالك (٢/ ٩٥٣) وصححه ابن حبان (٥٧٥) والحاكم (٧٣١٤) وابن عبد البر والمنذري. التمهيد (٢١/ ١٢٥) الترغيب والترهيب (٣/ ٢٤٨).

(٧)أخرجه أبو داود (٤٦٨١) عن أبي أمامة ﷺ، وصححه الألباني. صحيح الجامع (٥٩٦٥).

(٨)أخرجه أبو داود (٥١٢٤) والترمذي (٢٣٩٢) عن المقدام بن معدي كرب، وصححه ابن حبان (٥٧٠) والحاكم (٧٣٢٢) والألباني. صحيح الجامع (١/ ١١٣).

(٩)أخرجه البخاري (٦١٦٩) ومسلم (٢٦٤٠) عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

النية الصالحة في المباحات

من أعظم أبواب الحسنات النية الصالحة في المباحات، كالنوم والأكل والبيع والشراء، وغيرها من المباحات إذا نوى المسلم بفعلها التقوّي على طاعة الله، كان ذلك عبادةً يثاب عليها؛ قال معاذ ﷺ: «أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت حزبي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي»[(١)]، قال ابن هبيرة: هذا يدل على أن العبد إذا نوى بالنوم القوة على القيام وإراحة بدنه للخدمة، فإنه يُكتب له من الثواب ما يكتب له في حال قيامه؛ لأنه يستريح ليَدْأَبَ، وينام ليقوم، فكان حكمه كحكمه[(٢)].

وعن يحيى بن أبي كثيرٍ، قال: تعلموا النية؛ فإنها أبلغ من العمل. وعن زُبيدٍ اليامي، قال: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيءٍ، حتى في الطعام والشراب، وعنه أنه قال: انوِ في كل شيءٍ تريده الخيرَ، حتى خروجك إلى الكُناسة[(٣)].

ومن جميل الوصايا قول بعض العلماء: احرص على أن لا تعمل شيئًا إلا بنيةٍ؛ فإنك تؤجر في جميع أعمالك، إذا أكلت فانوِ بذلك التقوي لطاعة الله، وكذلك في نومك، وتفرُّجك، وسائر أعمالك؛ فإنك ترى ذلك في ميزان حسناتك[(٤)].

وقال الغزالي: ما من شيءٍ من المباحات إلا ويحتمل نيةً أو نياتٍ يصير بها من محاسن القربات، ويُنال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهوٍ وغفلةٍ[(٥)].

وقال القسطلاني: النية الصالحة إكسيرٌ تَقْلبُ العادةَ عبادةً، والقبيح جميلًا، فالعاقل لا يتحرك حركةً إلاّ لله، فينوي بمكثه في المسجد زيارة ربه في انتظار الصلاة، واعتكافه على طاعته، وبدخوله الأسواق ذكرَ الله- وليس الجهر بشرطٍ- وأمرًا بمعروفٍ ونهيًا عن منكرٍ، وينوي عقب كل فريضةٍ انتظارَ أخرى، فأنفاسه إذًا نفائس، ونيته خير من عمله[(٦)].

وقال ابن تيمية: الأكل والشرب والنكاح إنْ فَعَلَهُ المسلم بنية الاستعانة على ما خُلِقَ له وهو عبادة الله كان داخلًا في عبادته، وكان له عليه الأجر، كما قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاصٍ: (إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك)[(٧)]، وقال ﷺ: (إذا أنفق المسلم نفقةً على أهله، وهو يحتسبها، كانت له صدقة)[(٨)]، بل نفقة المرء على نفسه وعياله أفضل من نفقته على من لا تلزمه نفقته؛ لأن ذلك واجبٌ، وما تقرب العبادُ إلى الله بمثل

---

(١)أخرجه البخاري (٤٣٤١).

(٢)الفروع (٣/ ٧٧).

(٣)جامع العلوم والحكم (١/ ٧٠) و(الكناسة) موضع رمي القمامة.

(٤)جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (ص٤٤).

(٥)إحياء علوم الدين (٤/ ٣٧١).

(٦)إرشاد الساري (١/ ١٥٠).

(٧)أخرجه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).

(٨)أخرجه البخاري (٥٣٥١) ومسلم (١٠٠٢) عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

أداء ما افتُرض عليهم، ولهذا قال ﷺ: (دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبةٍ، ودينار تصدقت به على مسكينٍ، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك)[1]. ولكن أكثر الناس يفعلون ذلك طبعًا وعادةً لا يبتغون به وجه الله تعالى، كما يفعلون في قضاء الديون من أثمان المبيعات والقروض وغير ذلك من المعاوضات والحقوق، وهذه كلها واجبات، فمن فعلها ابتغاءَ وجه الله كان عليها من الأجر أعظمُ من أجر المتَصَدِّقِ نافلةً؛ لكن يتصدقُ أحدهم بالشيء اليسير على المسكين وابنِ السبيل ونحو ذلك لوجه الله تعالى، فيجدُ طعمَ الإيمان والعبادةِ لله، ويعطي في هذه ألوفًا فلا يجد في ذلك طعمَ الإيمانِ والعبادة؛ لأنه لم ينفقه ابتغاء وجهِ الله، فمن هذا الوجه صارَ في عُرْفِهم أن هذه النفقات التي لا بُدَّ منها ليست عبادةً، وقد لا يستشعرون إيجاب الشارعِ لها، وإنما يستشعر أحدهم ما في تركه من المضرة العاجلة[2]، انتهى كلامه.

لا تزال بخيرٍ ما نويت الخير

عن داود الطائي، قال: رأيت الخير كلَّه إنما يجمعه حسن النية، وكفاك بها خيرًا وإن لم تَنْصبْ[3]، وقال زيد بن أسلم: كان رجل يطوف على العلماء، يقول: من يدلني على عملٍ لا أزال منه لله عاملًا؛ فإني لا أحب أن تأتي عليَّ ساعة من الليل والنهار إلا وأنا عاملٌ لله تعالى، فقيل له: قد وجدتَ حاجتك، فاعمل الخير ما استطعت، فإذا فَتَرتَ أو تركته فهمَّ بعمله؛ فإن الهامَّ بعمل الخير كفاعله[4]. وقال عبد الله ابن الإمام أحمد لأبيه يومًا أوصني يا أبتِ، فقال: يا بُني اِنْوِ الخير؛ فإنك لا تزال بخيرٍ ما نويت الخير. قال ابن مفلحٍ: هذه وصية عظيمة، وفاعلها ثوابه دائمٌ مستمرٌ؛ لدوامها واستمرارها. وهي صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعًا سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يثاب عليها ولم أجد في الثواب عليها خلافًا. فيالها من وصيةٍ ما أشد وقعها وما أعظم نفعها، فنسأل الله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين العمل بها، والتوفيق لها، ولما يحبه ويرضاه آمين. فمثل هذا تكون وصايا أئمة المسلمين- رضي الله عنهم أجمعين- وقد قيل: نية المرء خيرٌ من عمله وأشرف من عمله؛ لاعتبارها فيه، بخلاف العكس. وقيل أيضًا: النية سبقت العمل[5].

ويدل على عِظم أمر النية وكثرة الثواب على نية الخير، قولُ النبي ﷺ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ

---

(١)أخرجه مسلم (٩٩٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢)جواب الاعتراضات المصرية (ص ٩٤) بتصرف.

(٣)جامع العلوم والحكم (١/ ٧٠).

(٤)جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٢٠).

(٥)الآداب الشرعية (١/ ١٠٤).

صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ...)[1]، وقوله ﷺ: (من طلب الشهادة صادقًا، أعطيها، ولو لم تصبه)[2]، وقوله ﷺ: (من هم بحسنةٍ فلم يعملها، كُتبت له حسنة)[3]، وقوله ﷺ: (ما من امرئٍ تكون له صلاة بليلٍ، يغلبه عليها نوم، إلا كُتب له أجر صلاته، وكان نومُه عليه صدقة)[4].

خياركم أحاسنكم أخلاقًا

للخُلق الحسن منزلة عظيمة في الدين، وثواب كبير عند رب العالمين، ويدل لذلك الأحاديث الآتية:

قال النبي ﷺ: (إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا)[5]، وقال ﷺ: (البر حسن الخلق)[6]، وقال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم)[7]، وقال ﷺ: (ما من شيءٍ أثقل في الميزان من حسن الخُلق)[8]، وقال ﷺ: (إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا)[9]، وقال ﷺ: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)[10]، وقال ﷺ: (أنا زعيم ببيت في رَبَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)[11]، وسُئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (تقوى الله، وحسن الخلق)[12].

---

(١)أخرجه الترمذي (٢٣٢٥) عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيُّ ﷺ، وقال الترمذي: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ٥١٥) وقال ابن مفلح في الفروع (٣/ ٧٣): إسناده جيد.

(٢)أخرجه مسلم (١٩٠٨) عن أنس بن مالك ﷺ.

(٣)صحيح مسلم (١٣٠) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤)أخرجه أبو داود (١٣١٤) عن عائشة رضي الله عنها، وله شاهدٌ من حديث أبي الدرداء ﷺ عند النسائي (١٧٨٧) مرفوعًا، وعند الحاكم (١١٧١) موقوفًا، قال الدارقطني (العلل ٦/ ٢٠٧): والمحفوظ الموقوف. وقال في فضل الرحيم (١٠٤/١٥) عن حديث عائشة: حديث صحيح بشاهده الموقوف.

(٥)أخرجه البخاري (٦٠٣٥) ومسلم (٢٣٢١) عن عبد الله بن عمرو ﷺ، وفي شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٧٨): قوله: (إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا) فيه الحث على حسن الخلق، وبيان فضيلة صاحبه، وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه.. قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبِشر والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم والحلم عنهم والصبر عليهم في المكاره، وترك الكِبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغِلَظ والغضب والمؤاخذة.

(٦)أخرجه مسلم (٢٥٥٣) عن النواس بن سمعان ﷺ.

(٧)أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) عن أبي هريرة ﷺ، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٨)أخرجه أبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢) عن أبي الدرداء ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٩)أخرجه الترمذي (٢٠١٨) عن جابرٍ ﷺ.

(١٠)أخرجه أبو داود (٤٧٩٨) عن عائشة، قال في عون المعبود (١٠٧/١٣): وإنما أُعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم؛ لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسِّن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم، فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرةً، فأدرك ما أدركه الصائم القائم، فاستويا في الدرجة، بل ربما زاد.

(١١)أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) عن أبي أمامة ﷺ، وصححه النووي رياض الصالحين (ص ٢٠٦) قال ابن القيم في مدارج السالكين (٢٩٣/٢): «فجعل البيت العلوي جزاءً لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق، والأوسط لأوسطها، وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها وهو ترك المماراة، وإن كان معه حق، ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله».

(١٢)أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) عن أبي هريرة ﷺ، وصححه الترمذي وابن ابن حبان (٤٧٦) والحاكم (٧٩١٩) قال ابن القيم في الفوائد (ص٥٤):

والوالدان والزوج والأولاد والأقربون أولى الناس بحسن الخلق، ومخالطةُ الإنسان لهم أكثر من غيرهم، فمن أراد أن يكثر ثوابُه وتضاعف حسناتُه، فليجتهد في معاملتهم بالخلق الحسن ما اسطاع إلى ذلك سبيلًا، وقد قال النبي ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[1].

من أعظم ما يوصل إلى حسن الخُلق

إنَّ من أعظم ما يوصل إلى الخُلق الحسن، وإلى كل برٍّ وطاعةٍ هو الدعاء، وإذا أردتَّ أن يفتح لك الفتاحُ الوهابُ بابًا من أبواب الخير، فأكثر من الدعاء بذلك، وسترى من الله- خاصَّةً مع الإلحاح- ما يسرك، فما خابَ مَن أنزل بالله حوائجَه، وعلَّق به آمالَه. وقد كان النبي ﷺ الذي أثنى الله عليه بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} يدعو ربه فيقول: (اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت)[2]، ويقول: (اللهم أحسنت خَلقي، فأحسن خُلقي)[3]، ويقول: (اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأهواء، والأعمال، والأدواء)[4].

ما هو الخلق الحسن؟

الخُلق الحسن: هو طلاقة الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى، وأن يحب للناس ما يحب لنفسه.

ومن الكلمات التي تجمع أفرادًا كثيرةً من الخُلق الحسن، قولُ ابن القيم رحمه الله: وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو سَتيرٌ يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ القاسي، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبَرٌّ يحب البر وأهله، وعدل يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره،

«فائدة جليلة: جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته».

(١)أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وقال: «حسن صحيح» وصححه ابن حبان (٤١٧٧).

(٢)أخرجه مسلم (٧٧١) عن عليٍّ ﷺ.

(٣)أخرجه أحمد (٣٨٢٣) عن ابن مسعودٍ ﷺ، وصححه ابن حبان (٩٥٩).

(٤)أخرجه الترمذي (٣٥٩١) عن قطبة بن مالكٍ ﷺ، وصححه ابن حبان (٩٦٠) والحاكم (١٩٤٩).

ومن شاق شاق الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، **ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه**[1].

عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له

الصيام من أعظم العبادات وأكثرها ثوابًا وأعظمها أجرًا، كما قال النبي ﷺ لأبي أمامة رضي الله عنه: (عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له)[2]، وقال ﷺ: (كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، والذي نفس محمدٍ بيده، لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[3]. قال السِّعدي: ما أعظم هذا الحديث؛ فإنه ذكر الأعمال عمومًا، ثم الصيام وفضله وآدابه خصوصًا، وذكر فضله وخواصه، وثوابه العاجل والآجل، وبيان حِكمته، والمقصود منه... وأضاف الصيام إليه، وأنه الذي يجزي به بمحض فضله وكرمه، من غير مقابلةٍ للعمل بالتضعيف المذكور الذي تشترك فيه الأعمال، وهذا شيء لا يمكن التعبير عنه، بل يجازيهم بما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشرٍ.اهـ.

وقال المنَاوي: الصيام يقوي القلب والفِطنة، ويزيد في الذكاء ومكارم الأخلاق، وإذا صام المرء اعتاد قلةَ الأكل والشرب، وانقمعت شهواته، وانقلعت مواد الذنوب من أصلها، ودخل في الخير من كل وجهٍ، وأحاطت به الحسنات من كل جهةٍ[4].

وقال الحافظ ابن رجبٍ: الصائم ترك شهواته لله بالنهار تقربًا إلى الله، ويُبادر إليها في الليل تقربًا إلى الله، فما تركها إلا بأمر ربه، ولا عاد إليها إلا بأمر ربه، فهو مطيعٌ له في الحالين، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابًا على ذلك، كما أنه إذا نوى بنومه في الليل والنهار التقوّي على العمل كان نومه عبادةً. ويُروى في الحديث: (نوم الصائم عبادة)[5]، وعن حفصة بنت سيرين، عن أبي العالية قال: «الصائم في عبادةٍ ما لم يغتبْ أحدًا، وإن كان نائمًا

---

(١)الوابل الصيب (ص٣٥).

(٢)أخرجه أحمد (٢٢١٤٠) وصححه ابن حبان (٣٤٢٥).

(٣)أخرجه البخاري (٥٩٢٧) ومسلم (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) فيض القدير (٤/ ٣٣٠).

(٥)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٦٥٢) وقال العراقي: سنده ضعيف. المغني عن حمل الأسفار (ص: ٢٧٣) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٢٣٠).

على فراشه» فكانت حفصة تقول: «يا حبذا عبادةٌ، وأنا نائمة على فراشي»[(١)]، فالصائم في ليله ونهاره في عبادةٍ، ويستجابُ دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صائمٌ صابرٌ، وفي ليله طاعمٌ شاكرٌ[(٢)].

وقوله: «ويستجابُ دعاؤه في صيامه» هذا من فضل الله العظيم للصائمين، ففي الحديث عنه ﷺ: (**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر...**)[(٣)].

وينبَّه: إلى أن الصيام مندوب في أي يومٍ، عدا ما نُهي عن صيامه، كالعيدين وأيام التشريق، وإفراد يوم الجمعة، وإذا وقع الصوم في الأزمنة التي يندب صيامها، كشهر مُحرَّمٍ، وشعبانَ، وتسع ذي الحجة، وستٍّ من شوالٍ، ويوم عرفة، وعاشوراء، والإثنين والخميس، والأيام البيض= كان الثواب والجزاء أعظم عند الله تعالى.

النية الصادقة والدعوات الصالحة وأثرهما في تحقيق المطالب العالية

قال النبي ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له)[(٤)].

قال الشيخ السعدي: دار الدنيا جعلها الله دار عملٍ، يتزود منها العباد من الخير أو الشر، للدار الأخرى، وهي دار الجزاء، وسيندم المفرطون إذا انتقلوا من هذه الدار، ولم يتزودوا منها لآخرتهم ما يسعدهم، وحينئذٍ لا يمكن الاستدراك. ولا يتمكن العبد أن يزيد في حسناته مثقال ذرةٍ، ولا يمحو من سيئاته كذلك. وانقطع عمل العبد عنه إلا هذه الأعمال الثلاثة التي هي من آثار عمله[(٥)].

وهذه الثلاثة عُمرٌ آخر للإنسان بعد موته، وإنّ من أهم الأمور التي ييسر الله بها هذه الثلاثة: النية الصادقة، وكثرة الدعوات الصالحة، بأن يجعل الله للإنسان منها أوفر النصيب، وأمرٌ ثالثٌ وهو المجاهدة لتحصيل هذه الثلاث، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المحسنين} والله الموفق.

---

(١)أخرجه عبد الرزاق (٧٨٩٥) قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ١٠٧): إسناده صحيح.

(٢)لطائف المعارف (ص١٥٦).

(٣)أخرجه الترمذي (٣٥٩٨) عن أبي هريرة ﷺ، وحسَّنه ابن القيم وابن حجرٍ. الوابل الصيب (ص٣٢٣) الفتوحات الربانية (٤/ ٣٣٨) وقد قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} ذكر تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، متخللةً بين أحكام الصيام، إيماءٌ إلى أن الصائم مرجو الإجابة. انظر: التحرير والتنوير (٢/ ١٧٩).

(٤)أخرجه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٥)بهجة قلوب الأبرار (ص ١١٣).

انووا الاعتكاف تربحوه

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الاعتكاف يجوز الكثير منه والقليل، ولو ساعةً[١]، قال يعلى بن أميّة ﷺ: «إني لأمكث في المسجد الساعة، وما أمكث إلا لأعتكف»[٢]، وقال ابن العربي: وكان شيخنا فخر الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي إذا دخلنا معه مسجدًا لإقامة ساعةٍ يقول: انووا الاعتكاف تربحوه[٣]. وسئل ابن بازٍ: الجلوس في المسجد ساعةً يسمى اعتكافًا؟ فقال: نعم؛ إذا نواه[٤].

تَضاعُفُ الفضلِ بكثرة النيات الحسنة

قال الغزالي: يتضاعف الفضل بكثرة النيات الحسنة؛ فالطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيراتٍ كثيرةً فيكون له بكل نيةٍ ثوابٌ؛ إذ كل واحدةٍ منها حسنةٌ، ثم تُضاعف كل حسنةٍ عشرَ أمثالها، ومثال ذلك: القعود في المسجد، فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نياتٍ كثيرةً حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين:

منها: أن يعتقد أنه بيت الله، وأن داخلَه زائر الله، قال عمرو بن ميمون الأَودي: أخبرنا أصحاب رسول الله ﷺ: «أن المساجد بيوت الله في الأرض، وإنه لحقٌّ على الله أن يكرم من زاره فيها»[٥]، ومنها: أن ينوى انتظار الصلاة، ومنها: الاعتكاف، ومنها: التعبد بكفِّ السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات، ومنها: عكوف الهمّ على الله، ولزوم التفكر في الآخرة، ودفع الشواغل الصارفة عنه بالانقطاع إلى المسجد، ومنها: التجرد لذكر الله أو لاستماعِ لذكره وللتذكر به، ومنها: أن يترك الذنوب حياءً من الله تعالى وحياءً من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة. فهذا طريق تكثير النيات، وقِسْ به سائر الطاعات؛ إذ ما من طاعةٍ إلا وتحتمل نياتٍ كثيرةً، وإنما تَحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جِدِّه في طلب الخير وتشمُّرِه له، فبهذا تزكوا الأعمال وتتضاعف الحسنات[٦].

ما من صلاةٍ مفروضة إلا وبين يديها ركعتان

الركعتان بعد أذان المغرب وقبل الإقامة يمكن أن يحصل بهما امتثالُ قولِ النبي ﷺ: (صَلُّوا قَبْلَ صَلاَةِ المَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ صَلاَةِ المَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ صَلاَةِ المَغْرِبِ) وقولِه ﷺ: (بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ)

---

(١)المجموع (٦/ ٤٨٩).

(٢)أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (٨٠٠٦).

(٣)أحكام القرآن (١/ ١٣٥).

(٤)مسائل الإمام ابن باز (ص١٣٠).

(٥)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٨٢) وقال المنذري والعراقي والألباني: إسناده صحيح. الترغيب والترهيب (١/١٣٥) المغني عن حمل الأسفار (ص١٨٠) السلسلة الصحيحة (٣/ ١٥٨).

(٦)إحياء علوم الدين (٤/ ٣٧٠) بتصرفٍ، وإضافةٍ لأثر عمرو بن ميمون.

وقولِه ﷺ: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ) وقولِه ﷺ: (مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)[١].

وكل صلاةٍ مكتوبةٍ يسن أن يصلَّى قبلها، ويُنوى بها امتثالُ قولِه ﷺ: (مَا مِنْ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ إِلَّا وَبَيْنَ يَدَيْهَا رَكْعَتَانِ)[٢]، وتحيةُ المسجد إن كان قد دخل المسجد، وركعتي الوضوء إن كان قد توضأ، والراتبةُ إن كان لها راتبة قبلية، كالظهر والفجر؛ فالطاعة الواحدة يمكن أن يُنوى بها خيرات كثيرة، فيكون له بكل نيةٍ ثوابٌ[٣].

تُضاعَفُ الحسنة والسيئة بمكانٍ أو زمانٍ فاضلٍ

شرفُ الزمان والمكان من أسباب مضاعفة الثواب لكل عمل صالحٍ يعمله المؤمن، قال ابن مفلحٍ: «وتُضاعفُ الحسنة والسيئة بمكانٍ أو زمانٍ فاضلٍ، ذكره القاضي وغيره وشيخنا وابن الجوزي»[٤]، وقال ابن رجبٍ: اعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسبابٍ، منها: شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل، كالحرم، ومنها: شرف الزمان، كشهر رمضان وعشر ذي الحجة[٥].

ومن الأزمنة الفاضلة التي يضاعف فيها الثواب الأشهر الحُرم التي قال الله فيهن: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} قال ابن عباسٍ: «في كلهن. ثم خص من ذلك أربعة أشهرٍ فجعلهن حَرَمًا وعظَّم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم»[٦].

وينبغي أن تكون هذه القاعدة من المؤمن على ذُكْرٍ، وأن يزيد من كل عملٍ صالحٍ في الأزمنة والأمكنة الفاضلة، مكثرًا مما جاء النص بخصوصه، كالصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكالصيام في شهر محرمٍ.

لمن زار الحرمين

أولًا: يحرص من أكرمه الله بزيارة مكة أو المدينة على كل عملٍ صالحٍ من صلاةٍ واعتكافٍ وصدقةٍ وإحسانٍ لعباد الله؛ لِما تقدم أن الحسنة تضاعف في المكان الفاضل، وتقدم أيضًا أن الاعتكاف يصح ولو قلَّ زمنه.

---

(١)أخرج هذه الأحاديث البخاري في صحيحه (١١٨٣) (٦٢٧) (٤٤٤) (١٥٩).

(٢)أخرجه الدارقطني (١٠٤٦) وقال ابن الملقن في تحفة المحتاج (١/ ٤٠١): صححه ابن حبان، وذكره ابن السكن في صحاحه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٠٠).

(٣)مختصر منهاج القاصدين (ص٣٦٢).

(٤)الفروع (٦/ ٣٠).

(٥)لطائف المعارف (ص١٥١).

(٦)أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٤٤٤).

ثانيًا: الصيام مما يتضاعف ثوابه في الحرمين أيضًا، وهو خير معينٍ على طول ملازمة المسجد، وعدم ضياع الأوقات في طلب الطعام وفي التخلي منه.

ثالثًا: الصلاة من أفضل ما يفعله المؤمن إذا كان في المسجد الحرام والمسجد النبوي، والصلاة فيهما ولو كانت نافلةً مضاعفةٌ، وقد يتَّجهُ حينئذٍ أن يغلِّب المصلي تكثير الركعات على طول القيام.

رابعًا: من السنن: التطوع بالصلاة بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، ويتأكد ذلك في الحرمين؛ اغتنامًا لمضاعفة الصلوات.

خامسًا: قد يلتبس على من يكثر التنفل، هل هو في الركعة الأولى أو الثانية؟ ومما يعين على ضبط ذلك أن تُجعل الورقة اليمنى من المصحف للركعة الأولى، والورقة اليسرى للثانية، أو غير ذلك من الوسائل[1].

سادسًا: قال ابن أبي شيبة في مصنَّفه[2]: باب من كان يحب إذا قدم أن يقرأ القرآن، ثم أسندَ عن إبراهيم، قال: «كانوا يحبون إذا دخلوا مكة أن لا يخرجوا حتى يختموا بها القرآن» وعن الحسن، قال: «كان يعجبهم إذا قدموا للحج أو العمرة، أن لا يخرجوا حتى يقرؤوا ما معهم من القرآن».

سابعًا: الأفضل- كما تقدم- جعل قراءة القرآن في الصلاة؛ فتجمع القراءة والصلاة، وتفوز بمضاعفة الصلوات.

ثامنًا: السيئات تعظم في البلد الحرام وفي الأشهر الحُرُم؛ قال ربنا: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} وقال: {...مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}. فيحرص المسلم على غض بصره وحفظ جوارحه عن المحرمات.

تاسعًا: لئن فات تقبيل الحجر الأسود بسبب الزحام فلا يفوتك مسح الركن اليماني؛ ففي الحديث: (إن مسحهما يحط الخطايا)[3].

عاشرًا: من أعظم الأحاديث في فضائل الأعمال قولُ النبي ﷺ: (مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا)[4]، وهذا الأجر لمن عمل هذا العمل في أي بلدٍ، فكيف إذا كان في الحرمين؟!

الحادي عشر: احرص على إفشاء السلام، وبذل النصيحة، وطلاقة الوجه، وكل برٍّ ومعروفٍ؛ قال أبو شريحٍ: يا رسول

---

(١) في أحكام الختايم لابن رجبٍ (رسائله٢/ ٧٠٥): أن عائشة كانت تعد صلاتها بخاتمها.

(٢)(٢/ ٢٥٩).

(٣)جامع الترمذي (٩٥٩) وصححه ابن خزيمة (٢٧٥٣) وابن حبان (٣٦٩٨) والحاكم (١٧٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٤٥) وقال أبو زرعة العراقي: «لا أعلم حديثًا كثير الثواب مع قلة العمل أصح من حديث: «من بكر وابتكر، وغسل واغتسل» فتح المغيث (٤/ ١٨٣).

الله أخبرني بشيءٍ يوجب لي الجنة، قال: (طِيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام)[١]، وقال ﷺ: (الدين النصيحة)[٢]، وقال: (تبسمك في وجه أخيك صدقة)[٣]، وقال: (كل معروفٍ صدقة)[٤].

الثاني عشر: إن من أجل العبادات وأيسرها وأعونها على الطاعة في الحرمين وغيرهما ملازمةُ ذكر الله تعالى؛ قال ﷺ: (سبق المفرِّدون) قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: (الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات)[٥]، وقال رجل: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيءٍ أتشبَّث به، قال: (لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله)[٦]، قال ابن القيم: دلَّه الناصح ﷺ على شيءٍ يبعثه على شرائعِ الإسلام والحرصِ عليها والاستكثارِ منها؛ فإنه إذا اتخذ ذكر الله شعاره أحبَّه وأحبَّ ما يحب، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام... وذكرُ الله عز وجل من أكبر العون على طاعته؛ فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك... وذكر الله عز وجل يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعبٍ إلا هان، ولا على عسيرٍ إلا تيسر، ولا مشقةٍ إلا خَفَّت، ولا شدةٍ إلا زالت، ولا كُربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم...[٧].

---

(١)أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨١١) وصححه ابن حبان (٤٩٠) والحاكم (٦١).

(٢)أخرجه مسلم (٥٥).

(٣)أخرجه الترمذي (١٩٥٦) عن أبي ذر ﷺ.

(٤)أخرجه البخاري (٦٠٢١) عن جابرٍ ﷺ.

(٥)أخرجه مسلم (٢٦٧٦) عن أبي هريرة ﷺ.

(٦)أخرجه الترمذي (٣٣٧٥) وصححه ابن حبان (٨١٤) والحاكم (١٨٢٢) والألباني. صحيح الجامع (٢/ ١٢٧٣) وحسنه ابن حجرٍ. نتائج الأفكار (١/ ٩٣).

(٧)الوابل الصيب (ص٧٦).

الفهرس

عبادتان عظيمتان ويعظم فضلهما في الزمان والمكان الفاضل ٢
مجالس الذكر غنيمة عظيمة ٣
مجالس الذكر في المساجد ٤
المجالس إن خلتْ من الذِّكر تحسَّر أصحابها ٤
مِن الأذكَارِ المضَاعفِ ثوابُها ٥
الدعاء جماع الخير ٦
متى يتخلف أثر الدعاء؟ ٧
دعوات الصباح والمساء ٧
تقديم الدعاء بالمغفرة على غيره ٨
طوبى لمن وَجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا ٨
أوقاتُ إجابة الدعاء من أنفس الأوقات ١٠
أفضل ما يُفعل بين الأذان والإقامة ١١
قراءة القرآن في الصلاة أفضل من القراءة خارجها ١١
الصلاة قبل دخول الخطيب يوم الجمعة ١١
متابعة المؤذن في صلاة النافلة ١٢
عمارةُ أوقات الغفلة بالعبادة ١٢
من أسباب فهم القرآن ١٣
إني أحبُّ أن أسمعه من غيري ١٣
تعلُّم معاني القرآن هو المقصود بتعلُّم حروفه ١٣
بر الوالدين عبادةٌ وامتثالٌ لأمر الله ١٤
بر الوالدين بعد موتهما ١٤
ما أعظم فضائل الوضوء! ١٥
روح الصلاة ولُبُّها ١٦
الحب في الله والزيارة فيه ١٨

النية الصالحة في المباحات ١٩
لا تزال بخيرٍ ما نويت الخير ٢٠
خياركم أحاسنكم أخلاقًا ٢١
من أعظم ما يوصل إلى حسن الخُلق ٢٢
ما هو الخلق الحسن؟ ٢٢
عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له ٢٣
النية الصادقة والدعوات الصالحة وأثرهما في تحقيق المطالب العالية ٢٤
انووا الاعتكاف تربحوه ٢٥
تَضاعُفُ الفضلِ بكثرة النيات الحسنة ٢٥
ما من صلاةٍ مفروضة إلا وبين يديها ركعتان ٢٥
تُضاعَفُ الحسنة والسيئة بمكانٍ أو زمانٍ فاضلٍ ٢٦
لمن زار الحرمين ٢٦